

## العلاقة بين المهديّة و الطريقة السمانية في السودان 1881-1899م اعداد

الدكتور عبد الغفار محمد علي أحمد  
أستاذ مشارك بكلية التربية جامعة الزعيم الأزهرى  
قسم التاريخ

### Abstract

The Sammani order is one of the most popular Sufist order in the Sudan .Its plays a prominent role in spreading Islam and Sufist faith .When Mohammad Ahmed Almahadi completed learning the holy Quran and learned some accounts of Islamic juerispondence ,he toured the famous Islamic institutions (Khalwas )in addition to visiting the leading Sufist orders, he found the basis of the Mahadist concepts in the Sammni order .This why he Joined it willingly and became one of its renowned members. However, when he confided to Mohammed Shreif his master about his Mahadist intentions, his master denied these ideas and subsequently a schism developed between the master and his fellow . Therefore he joined Alqurashi Wad Alzain as an alternative master who accepted and allowed Almahadi to be one of close fellows .Despite the disagreement between Almahadi and his master he remained respectful till last days of his life to all his masters . The status of Almahadi,s master have changed by the appearance of Abdullahi Altaeishi as a calipha .In respondance this was one of the fundamental factors that lead to the collapse of the Mahadist State

### المستخلص

الطريقة السمانية من أكبر الطرق الصوفية بالسودان، وأكثرها انتشاراً ، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام وعقيدة التصوف في السودان . عندما حفظ محمد أحمد (المهدي) القرآن و ألم بعلم الفقه تطوف على الخلاوي المشهورة والطرق الصوفية واسعة الانتشار ،فوجد مبتغاه فيما كانت تجوب في خاطره من أفكار المهديّة في الطريقة السمانية ، فانحاز اليها و أصبح من كبار مريديها أهل الثقة . وعندما أسر لشيخه محمد شريف نور الدائم بدعواه أنكر عليه ذلك ، و بدأت بينهما بوادر الخلاف ، فلجأ الى الشيخ القرشي ود الزين الذي قبله و قربه منه .و لعل ذلك من أهم أسرار نجاح الدعوة المهديّة رغم الخلاف على مبدأ الفكرة من كان المهدي يكن لمشايخه كل ود و احترام حتى وفاته ، إلا أن الأمر قد تغير بولاية الخليفة عبد الله التعايشي للخلافة . فلم يوليهم من الاحترام ما كان يكنه لهم المهدي ،فكان ذلك من أكبر العوامل التي أسهمت في سقوط دولة المهديّة فيما بعد.

## المقدمة

**أهمية الموضوع :** تعتبر الطريقة السمانية المنهل الاساسي الذي وجد فيه المهدي كل الأسانيد التي تدعم فكرته. هذا هو سر تمسك المهدي بالطريقة السمانية رغم أن شيخه محمد شريف نور الدائم قد طرده من الطريقة . فلجأ الي الشيخ القرشي ود الزين.و لذلك فإن العلاقة بين المهدي والطريقة السمانية كانت علاقة أبوة و احترام على أيام المهدي ، غير أن ذلك الصفاء لم يدم على أيام الخليفة عبدالله، هذا الأمر هو الذي قاد الباحث ليقوم بهذه الدراسة التي فيما أعلم لم تبحث بعد **هدف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة الي ايضاح كل الأسانيد التي اعتمد عليها المهدي في إثبات مهديته بفلسفة جعلت كل مريدي الطريقة السمانية يباركون مهديته عن ايمان و قناعه أو غير ذلك ، لأن المهدي ضمن شيوخ الطريقة السمانية في كل حضراته النبوية، فليس هنالك من مجال لإنكار المهديّة و الا أنكروا كرامات شيوخهم.

### حدود الدراسة المكانية و الزمانية :

الحدود المكانية هي كل الرقعة التي امتدت فيها الدولة المهديّة ، أما الحدود الزمانية فهي الفترة من 1878و حتى 1899م .

### منهج الدراسة :

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي و المنهج التحليلي والمنهج الوصفي في بعض الأحيان .

**مشكلة البحث:** المشكلة التي يعالجها البحث هي العلاقة بين المهديّة و الطريقة السمانية التي أصبحت في نهاية الأمر من أه العوامل التي أدت الي سقوط دولة المهديّة .

### نشأة الطريقة السمانية وعلاقة المهديّة بها:

تنسب الطريقة السمانية إلي الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان القرشي المدني المشهور بالسمان المتوفى عام 1189هـ ، المدفون بالمدينة المنورة<sup>(1)</sup>.

دخلت هذه الطريقة إلى السودان في أواخر أيام سلطنة الفونج على يد الشيخ أحمد الطيب البشير<sup>(2)</sup> الذي ذهب مع شيخه حسن ود حسونة<sup>(3)</sup> إلي الحجاز وهو في الثامنة عشره من عمره ، وعلى حادثة

عبدالعزیز أمين عبدالمجید: التربيّة في السودان : 3 اجزاء . المطبعة الأميرية \_ القاهرة . 1949م . ص 243 . (1)

(2) نعوم شقير : جغرافية و تاريخ السودان ، لبنان بيروت - دار الثقافة ط2 1972م ، ص163 .

(3) هو حسن بن حسونه بن الحاج موسى ، قدم جده لأبيه إلي السودان من الجزيرة الخضراء بالمغرب ، وتزوج من المسلمية وأنجب ابنه حسونه ، وتزوج حسونه ابنة خاله الحاج لقاني وأنجب منها أربعة أبناء هم الشيخ حسن والعجمي وسوار والحاجة نفيسه ، ولد الشيخ حسن بجزيرة (كجوى) بجهات شندي ، انظر طبقات ود ضيف الله ، ص 137 ، ومن المتواتر أن أبناء حسونه الأربعة لم ينجبوا ، وقيل أن من ينتسبون إليه من ذرية أخيه لأبيه أو من ذرية مواليه ، انظر طبقات ود ضيف الله ، ص 147 . وعموماً فهو شريف من جهة أبيه وترجع أمه

سنه التقى في هذه الرحلة بعدد من العلماء كان اخرهم محمد بن عبد الكريم السمان ، وظل ملازماً له زهاء سبع سنوات حصل بعدها على الإجازة في الطريقة، ورجع إلي السودان مشبعاً بأفكارها<sup>(4)</sup> وجعل أم مرح مقام أبائه من قبل مقراً لطريقته.

نشر الشيخ أحمد الطيب البشير الطريقة السمانية في السودان ، وأخذ يدعو لها ويعطي بيعتها لمن رغب . وبانتشار الطريقة السمانية أخذ التصوف الإسلامي في السودان ابعاداً جعلته على صلة وثيقة بمتصوفة العالم الإسلامي . وهذه الظاهرة لم نلمسها من قبل مما أضفى على الطريقة السمانية شهرة جعلتها محط أنظار حكام دولة الفونج<sup>(5)</sup>.

عند وفاة الشيخ أحمد الطيب البشير عام 1239هـ ترك ستة عشر ولداً كان لهم أثراً بالغاً في ذبوع وانتشار الطريقة السمانية في السودان. كان أولهم في خلافته ابنه نور الدائم الذي خلف بدوره عدة أبناء أشهرهم محمد شريف وأخيه عبد المحمود<sup>(6)</sup> وقد ترعرا في بيت علم وصلاح نهلا من معينه ، وعاصرا حكم المهديّة ، وكان لعلاقتهم الوثيقة بالمهديّة أكبر الأثر في مناهضتهم لها فيما بعد.

#### علاقة محمد أحمد بن عبد الله (المهدي) بالطريقة السمانية:

بعد أن تفقه محمد أحمد في الدين وتنقل طلباً له في أقاليم السودان المختلفة، وأظهر في ذلك تفوقاً لم يبده أقرانه تآقت نفسه غلي التصوف مثله كمثل كثير من أهل السودان ، فالتجأ إلي الطريقة السمانية لان شهرتها قد طبقت الآفاق ، فاتصل بالشيخ محمد شريف نور الدائم ، وصار ملازم له حتى حصل على الإجازة في الطريقة<sup>(7)</sup>. وفي عام 1286هـ (1871م) رحل محمد أحمد بأسرته إلي جزيرة أبا لقربها من مناهل العلم وتناسبها مع طبيعة عمل أسرته المتمثل في صناعة المراكب . وبنا بها مسجداً وأقام بها حلقات العلم فاجتمع إليه الناس من كنانه ومن دغيم وغيرهما من قبائل النيل

وقد ترحل الشيخ حسن وراء العلم حتى أصبح من كبار الصوفية P84. Vol. 2. Op.Cit. Mac. Michael . في نسبهها إلي الأنصار . راجع في زمانه ، وبلغ من الشهرة والجاه ما لم يبلغه غيره ، مات ودفن في قريته ودحسونه التي تقع بالقرب من أبو دليق وله ضريح يزار حتى اليوم .

(4) أوضح شقير في كتابه **جغرافية وتاريخ السودان** ص 163 أن الشيخ أحمد الطيب البشير من أهل المدينة المنورة والصحيح حسب ماورد في شجرة نسبه هو أحمد الطيب البشير بن مالك بن الأستاذ محمد سرور العباسي نسباً ولد عام 1155هـ بأم مرح بأرض الحلاوين بالجزيرة ثم رحل إلي أم طلحة ودرس على الفقيه الشيخ أحمد الفرضي المشهور بالفزازي ، توفي 27 رجب عام 1239هـ . راجع عبد المحمود نور الدائم ، **أزاهير الرياض في مناقب العارف بالله تعالى الأستاذ أحمد الطيب البشير** ، مطبعة مصر ، القاهرة، 1954م ، ص 232-234 .

-3- (5) عبد المحمود نور الدائم : **أزاهير الرياض** ، ص 231-232 .

(1) عبد المحمود نور الدائم : **الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة** ، القاهرة 1959م ، ص 125-127 .

Misc. 1/101/1582 (2) محمد شريف نور الدائم (مخطوط الشمعي عن المهدي والمهديّة) ، دار الوثائق القومية الخرطوم ، تحت رقم كتب محمد شريف نور الدائم هذا المخطوط في شكل نصيحة بعد قدوم عبدالقادر حلمي باشا عام 1882م وإيعازه له بذلك ، سمي هذا المخطوط بمخطوط الشمعي ولم أجد علاقة لهذا الاسم بالمخطوط غير أني أرجح أن الشمعي هو اسم الناسخ ولأن هنالك عدة نسخ من المخطوط كالتالي اعتمد عليها نعم شقير وأخرى اعتمد د. الطاهر محمد علي البشير في كتابه **الأدب الصوفي السوداني** وهناك زيادات وحذف عن مخطوط الشمعي ، ولم يتسن لي الحصول على كلتا النسختين للمخطوط ، المخطوط يتكون من قصيدة تزيد في مجملها على الأربعمئة بيت ولها مقدمة في ثلاث صفحات ، ويشغل المخطوط أربعة وثلاثين صفحة من القطع 21×33 سم . غُتِب على المخطوط في نهايته الشيخ الأمين الضرير والحسين الزهراء ، كثيراً ما وجدت أبيات مفقودة بفعل الأرضة وبها تعليق أحسب انه كتب بعد نهاية المهديّة ، يشير إلي أن هذا المخطوط كان مدفوناً طوال فترة حكم المهديّة وقد اعتمدت على هذا المخطوط واتخذته مصدراً لدراستي لموقف محمد شريف من المهديّة .

الأبيض واخذوا عليه العهد . وفي زمن وجيز زاع صيته وكثر أتباعه ، ومع كل ذلك ظل محمد أحمد على التزام لشيخه وأستاذه محمد شريف ، وكان يزوره كل موسم وعيد كعادة الصوفية ويقدم له فروض الطاعة والولاء ويقدم معه بضعة أيام يعود بعدها إلي مقره في الجزيرة أبا<sup>(8)</sup>.  
لم يدم الوفاق بين محمد أحمد وشيخه محمد شريف طويلاً ، وقد كان لذلك انعكاساته على العلاقة بينهما عندما أعلن محمد أحمد دعوته وكان لذلك عدة أسباب منها:

أ. لقد اقترح محمد أحمد على شيخه الذي كان يقيم بالقرب من جبل أولياء<sup>(9)</sup> أن يرحل إلي منطقة العراديب . التي تقع ما بين جزيرة أبا والكوة . فاستجاب محمد شريف لدعوة تلميذه ورحل في عام 1288هـ (1872م)<sup>(10)</sup> ولو أن العلاقة كانت بينهما حميمة ابتداءً إلا إن إقبال الناس المتزايد على محمد أحمد أشعل الغيرة في نفس شيخه<sup>(11)</sup> الذي أخذ يبحث عن أنجع السبل للتقليل من مكانة محمد أحمد في تلك المنطقة . فأدرك أن ذلك لا يتم إلا بتثييط خلفائه في منطقة غربي الجزيرة أبا في قوز العلوب ، وهم الشيخ رضوان والشيخ العجب حقار الجضيبي ، ومن ثم حث قاطني الجهة على إتباعهم ، فأخذت روح التنافس تنمو بين الجانبين والوشايات تبيض وتفرخ . وكانت نتيجة ذلك أن التحم الجانبان في معركة حربية هزم فيها محمد أحمد ومناصروه<sup>(12)</sup> ، ورفع الأمر برمته لناظر الكوة . وكان وقتها رحمه الدويهي . فبرأ محمد أحمد وأتباعه وأدان جماعة الشيخ رضوان<sup>(13)</sup>. كانت تلك النتيجة ضربة قاضية لمحمد شريف حدثت من تطلعاته ، وبالرغم من الصلح الذي أبرم بين الطرفين أخذ محمد أحمد يعد للأمر عدته وعلم أن شيخه يضم له شراً ، فاعد نفسه لمهاجمته وانتقاده علناً ، وذلك يستلزم التجرد من ثوب المجاملة والتستر وان يأخذ على شيخه كل الأمور التي تحيط بها الشبهات كسماحه للنساء بتقبيل يده<sup>(14)</sup>.

ب. يعتبر معظم المؤرخين إن الحفل الذي أقامه محمد شريف لختان بعض أولاده والممارسات الخاطئة التي صاحبه كالرقص والغناء من أهم أسباب الخلاف بينهما .

ج. يبدو إن أهم أسباب الخلاف تكمن في إعلان محمد أحمد مهديته وإسراجه لشيخه بذلك ويتضح ذلك من قول محمد شريف:

(3) نعوم شقير : المصدر السابق ، ص 639 .

(1) كان محمد شريف قد أقام قرية المحمودية التي تبعد عن جبل أولياء مسافة 4 أميال جنوباً ، واتخذها مقراً لنشاطه التعليمي ، وكان المهدي يزوره بها حين اقترح عليه الرحيل إلي العراديب . راجع شقير ، ص 116 .

(2) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 639-640 .

(3) شبكية ، مكى : السودان عبر القرون ، لبنان - بيروت 1964م : ص 212 .

(4) مخطوط الشعبي ، ص 26 .

(5) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 641 .

(6) نعوم شقير : المصدر السابق نفسه ، ص 642 .

(فاسر لي بدعواه ورغب ان أكون له وزيراً ومستشاراً فيجعل الأمر كله في يدي ، وذلك في سنة 1295هـ (1878م) ، فجزرته ونهيته مراراً ، ولما لم ينته عقده معه مجلساً في أبا جمعت إليه القضاة والنظار وبعض الأخيار كعبد الرحمن اللبيح ناظر اللحيين وأحمد جفون ناظر الشاتحاب ويوسف ابي جمعه ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة وغيرهم من أكابر أبا ، وأمرته بالرجوع عن ضلالتة وأشهدت الله ورسوله والحاضرين اني إن رجع شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار ، فخرج من المجلس لمشاورة من معه من الاصحاب فلم يرجع ...) (15)

لم يكن امام محمد شريف للحد من تطلعات محمد أحمد إلا خياراً واحداً هو ان يسحب بساط التبعية للطريقة السمانية من تحت أرجله ليفقده السند الصوفي الذي يعتبر عند الصوفية من أهم مقومات الشيخ ، وبذلك ينفذ أتباعه من حوله ويصبح في عزلة صوفية ، وفعلاً نفذ محمد شريف ما أرادته وعزل محمد أحمد عن الطريقة السمانية ، وبرر ذلك بان محمد أحمد عندما كثر أتباعه ومريديه أصيب بالصلف والغرور . فجاء قرار محمد شريف:

( ... ومن ذلك الوقت نفيتة من الطريقة ، وقلت لاصحابي ان يضربوه اذا جاءهم ...) (16)

وبطبيعة الحال تم هذا الفصل قبل إعلان محمد أحمد لمهديته بطريقة رسمية ، وكانت دوافع ذلك الفصل لا تعدو ان تكون دوافع شخصية جعلت الشيخ يحسد تلميذه على تلك المكانة الدينية المرموقة (المهدية) التي كان يريها لنفسه بحكم أنه شيخ الطريقة السمانية في ذلك الحين ، وان كانت أحلامه في اطارها العام تختلف عن أهداف محمد أحمد التي تشير إلي تكوين دولة المهديية الإسلامية المستقلة ، أما محمد شريف فكانت تطلعاته تهدف إلي تكوين دولة إسلامية تتبع تبعية مباشرة للسلطان العثماني ، وليس أدل على ذلك من قول محمد شريف:

ليعلم واليها شئوني وما بدأ من الدنقلي والمفسدين أولي الشر  
اني لأرجو أن أكون انا لها بأمر من الوالي ومن ملك العصر (17)

يتضح من البيتين أعلاه أنهما اعتراف مباشر بالنوايا الشخصية التي دفعت محمد شريف لمعارضة محمد أحمد ، والمهم في الأمر أن محمد أحمد بالرغم من ذلك الحرج الذي منى به من عزله عن الطريقة السمانية لم يتركها ، فاخذ يتردد على شيخه أكثر من مرة رجاء العفو عنه ، إدراجه في سلك

(1) يقول محمد شريف ان محمد أحمد اسر إليه بمهديته في عام 1878م . والمعروف ان محمد أحمد أعلن مهديته في عام 1881م . وما قول محمد شريف هذا إلا ليثبت معارضته المبكرة لدعوة المهديية لكسب رضا الحكام الاتراك وما ينفي زعمه هذا ان المهدي في هذا العام (1878م) كان يعطي البيعة ويجيز في الطريقة السمانية . راجع إجازته للشيخ سراج الدين . أبو سليم ، محمد إبراهيم : المرشد إلي وثائق المهدي رقم(1) .  
S.N.R : 1/101/1582 (2) مقدمة مخطوط الشمعي .

الطريقة. غير أن شيخه لم يصفح عنه . وترتب على ذلك ان أصبح محمد أحمد في حيرة شديدة لم تعتربه لعدم تمكنه والمامه الصوفي ، فهو مؤهل صوفياً إلا أن نظام الطرق الصوفية نظاماً تسلسلياً الخلف يأخذ عن السلف فلا يسمح ذلك النظام بوجود مريد بلا شيخ واذن في الطريقة فضرورة الالتزام بالشيخ تكمن هنا<sup>(18)</sup>. كما أن هنالك عاملاً آخر يفسر لنا سر تمسك محمد أحمد بالطريقة السمائية هو أنه بعد إجازته للطريقة اتخذ أورادها وطريقتها في الإرشاد ولقن أتباعه رواتبها ، فافنوا في تحصيلها ربيعاً أعمارهم ، فمن ثم فان مسألة تركها والأخذ بغيرها أمر غير يسير لا سيما ان الطرق تختلف فيما بينها . ليست في النواحي الأصولية للدين . اختلافاً كبيراً<sup>(19)</sup> ، لربما كان سر تمسك محمد أحمد بالطريقة السمائية راجع إلي ما كان يهدف إليه من غاية فيما بعد لإعلان مهاديته والاعتماد على الاستدلال لدعوته بالحضرات النبوية ومشافهة الرسول (ﷺ) لان الطريقة السمائية يوجد في نصوصها ما يوحي بذلك ، ومن ثم تصبح مسألة الاعتراف بمهاديته ضمنية ، إذ أن محمد بن عبد الكريم السمان قد أقر حقيقة استحضر الرسول (ﷺ) بالنسبة للصوفي الكامل ومشاهدته ومشافهته<sup>(20)</sup>. هذا وومن جهة أخرى فان محمد بن عبد الكريم السمان قد تتلمذ على الشيخ مصطفى البكري وهو القائل:

(... انا وزير المهدي ، فمن شاء منكم فليؤم إلي ويهتدي ...)

وتساءل رجل حين لقي الشيخ مصطفى البكري ربه ، ولم يشهد أوان المهدي فاجاب محمد بن عبد الكريم السمان:

(... بان الشيخ صادق فيما ذهب إليه ... لان السلطان حين بيعت بجنده إلي مكان ما يضع في قيادتهم نفرأ من أمرائهم فيمهدون له الأرض فيلحق بهم ، فمن الأمراء من ينتظره على قيد الحياة ومنهم من يقتل ... ) كما يروى عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان قوله:

(... انا خاتمة الولاية المحمدية ومذهبي مذهب محي الدين وطريقتي قادية...)<sup>(21)</sup>

كل ما سقناه من شواهد يؤكد لنا سر تمسك محمد أحمد بالطريقة السمائية لاتخاذها مبرراً لأهدافه في المستقبل ، ولاسيما وان هذه المزايا لا تتوفر في غيرها من الطرق الصوفية ، لأن الطريقة السمائية

(2) لقد تدرج محمد أحمد في مدارج الطريقة السمائية من ناحية التسلسل الصوفي حتى أصبح ينوب عن الشيخ نور الشريف نور الدائم في منح الإجازة في الطريقة السمائية ، راجع : محمد ابراهيم ابوسليم : المرشد إلى وثائق المهدي . دار الوثائق القومية - الخرطوم . مارس 1969م : قم (1).

( نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 642 . )  
( الطاهر محمد على البشير : الأدب الصوفي في السودان ، دار الفكر القاهرة 1970م ، ص 224 . )  
( محمد بن عبد الكريم السمان : النفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، ص 220 . )  
( راجع أيضاً تعليقات مكي شيبة : السودان والثورة المهدية من موقعة أبا إلي حصار الخرطوم ، ج 1 ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم 1978م ، ص 13 )

أكبر الطرق الصوفية في السودان انتشاراً وأكثرها اتباعاً مما يسهل نشر فكرة المهديّة والاعتقاد بها فيما بعد.

اصبح محمد أحمد بعد ذلك في عزلة صوفية شديدة دون رغبته ، وهي ما يمكن ان نسميه (التيه الصوفي) أي الانشقاق عن أصل المبدأ الروحي رغم أنف المرید . وذلك له تأثير عظيم يفقد المرید الثقة الصوفية بنفسه مهما كانت درجة المرید وتمكنه<sup>(22)</sup>. فاصبح محمد أحمد في حيرة انتابه القلق فما أكثر الشيوخ الذين يريدون انتمائه إلي طرقتهم . لكن هو لا يريد الانتماء إلي طريقة جديدة يجهل أطرها العامة ، فظل يبحث عن شيخ داخل حيز الطريقة السمانية حتى استرشد إلي الشيخ القرشي ود الزين<sup>(23)</sup> بارض الحلاوين ، فاستعاض به عن أستاذه الأول لاسيما أنه أخذ عن الشيخ أحمد الطيب البشير مباشرة ، ويقوم بشروط الطريقة السمانية بمسلك لا شبهة فيه<sup>(24)</sup>. فجدد العهد على يديه وأبدى له من الخضوع والانكسار ما لم يبده لشيخه الأول.

لنا هنا وقفه وتساءل ، لما إلتجأ محمد أحمد إلي الشيخ القرشي ود الزين بالذات ، إذا ما استثنينا أنه أخذ عن الشيخ أحمد الطيب البشير نفسه فان الرد على ذلك يتمثل في نقطتين هما:

1- ان الشيخ القرشي ود الزين يحظي باجلال عظيم من ذرية الشيخ أحمد الطيب البشير<sup>(25)</sup> لاسيما مردييه. ومعنى ذلك ان محمد أحمد سوف يدخل الطريقة السمانية من أوسع أبوابها.

2- لربما أراد محمد أحمد ان يجني ثمار المنافسه التي كانت بين الشيخ القرشي ود الزين ومحمد شريف نورالدائم لتوطين نفسه في الطريقة السمانية.

وبالفعل ودون تردد قبل الشيخ القرشي محمد أحمد. وعند سماع محمد شريف نور الدائم بخبر قبول الشيخ القرشي لمحمد أحمد تلميذه المطرود شق عليه ذلك فكتب إلي الشيخ القرشي خطاباً

مختصراً عاتبه فيه على هذه الخطوة. فرد الشيخ القرشي ود الزين بقوله:

(... اني رأيت محمد أحمد مستحق ومنع المستحق ظلم ...) <sup>(26)</sup>

فعند هذا الحد ثبتت أرجل محمد أحمد في الطريقة ، فأعلن انفصاله عن شيخه محمد شريف نور الدائم . ووضح ان ما بينهما من خلاف سببه مخالفة محمد شريف لأحكام الشريعة ، ومن ثم أصبح

( شببكة ، مكي : السودان عبر القرون ، ص 212 .1)

( هو الشيخ القرشي ود الزين بن الفقيه البرعي ، تتلمذ على الشيخ الطيب أحمد البشير حتى سلك الطريقة السمانية على يديه وأجيز فيها . وتوفى في عام 1295 هـ . راجع أزهير الرياض ، ص 304 ، وانما ذكره نعوم شقير في كتابه جغرافية وتاريخ السودان ص 642 من أن وفاته كانت في عام 1297 هـ فهو غير صحيح .

( شببكة ، مكي : السودان عبر القرون ، لبنان . بيروت : 1964م : ص 212 .3)

( نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 464)

( شقير ، المصدر السابق . ص : 642- 643 .1)

محمد أحمد لا يخشى لمحمد شريف غضباً ولا يتودد له لكسب رضى طالما اصبح ولاؤه لشيخ غيره

رفع الشيخ القرشي من مكانة محمد أحمد وأثنى عليه امام اتباعه فاصبحوا يولونه الاجلال والاحترام ، وعند وفاة الشيخ القرشي ود الزين عام 1295هـ أراد محمد أحمد أن يجسد حبه لأستاذه فخرج بتلاميذه إلي ارض الحلاوين وشيد قبة على قبر شيخه ، هادفاً من واره ذلك إلي شيئين هما 1/ليکید بذلك لأستاذه الأول محمد شريف. و2/ولكي يحقق بذلك أقوالاً متواترة عند اتباع الطريقة السمانية توحى بأن من يبني قبة الشيخ القرشي ود الزين هو المهدي المنتظر. أورد ذلك نعوم شقير في قوله:

( ... فاتخذوه بعد وفاة شيخهم شيخاً لهم ، وأشاعوا بأنه وارث الطريقة الطيبية هو الشيخ القرشي ود الزين ، فأورثها محمد أحمد عند وفاته ، ووافقهم على ذلك جل ذرية الشيخ أحمد الطيب البشير لسابق كراهة بينهم وبين محمد شريف ، فقويت شوكة محمد أحمد وكثر أنصاره ، وقد بالغوا في محبته وتعظيمه ، حتى قالوا إن في كتب طريقتهم نصاً بأن المهدي يكون منهم ، وأن الشيخ القرشي قبل وفاته أوماً بها إلي محمد أحمد... )<sup>(27)</sup>

فشاعت هذه الأقوال والأراجيف وعمت أنحاء السودان المختلفة بين سالكي تلك الطريقة وغيرهم وتهاياً الجو لمحمد أحمد لأن يرسم طريقه الجديد ويخطط له.

يمكن اعتبار إتمام محمد أحمد لبناء قبة الشيخ القرشي ود الزين فاتحه التبشير السري بالدعوة المهديية . فعندما رجع محمد أحمد إلي جزيرة أبا بدأ في مكاتبة رجال الدين من مشايخ طرق صوفية وعلماء شريعة . ويشوب الغموض فحوى كتاباته مع التزام جانب السرية<sup>(28)</sup>. ثم قام بعد ذلك جولات استطلاعية في كردفان فعلم الناس قد بلغ بهم ظلم الحكومة حد تمنيعهم ظهور المهدي الموعود به في آخر الزمان. فقرر كما يرى نعوم شقير ان المهديية هي الكرت الراح الذي لو لعب به لا يخسر أبداً<sup>(29)</sup> لان الشعب السوداني مفطور بحب الانتماء إلي الإسلام. كما أورد ذلك محمد المحجوب في قوله:

( ... ان الإسلام في هذه البلاد واضح ملموس ، تكاد تراه في الغدوة والرواح ، تلمسه في كل ما يصدر عنه أهل هذه البلاد . وحتى امس القريب لا يمكن ان تتجح أى حركة لاحداث انقلاب أو

(1) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 643 .  
( شبيكة ، مكي : السودان عبر القرون ، ص 212 .)  
( نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 643 .)



تغيير بعض الأوضاع إلا اذا كانت حركة دينية ، أو متشحة على الأقل بثوب الدين، وما حديث المهدي عنها بعيد ...<sup>(30)</sup>

أضف الى ذلك ما آل إليه أمر المسلمين من التردى إذا ما أخذنا محمد شريف مثالاً لذلك. فمن ثم عقد محمد احمد النية لظهار دعوته.

عند ظهور الدعوة المهديّة انقسمت الطريقة السمانية إزائها إلى ثلاثة اقسام هي:

أ-قسم ناصبها العداً وحدد موقفه منها منذ نعومة أظفارها ودوافع ذلك القسم شخصية ، وكان على رأس هذا القسم أستاذ المهدي وشيخه محمد شريف نور الدائم.

ب-أما القسم الثاني من السمانية فقد ناصروا دعوة محمد المهدي وعملوا على تدعيمها وتزكيتها وكان على رأسهم أتباع الشيخ القرشي ود الزين ومعظم ذرية الشيخ أحمد الطيب البشير ، وكان يدفعهم إلى ذلك السلوك موقفهم من محمد شريف نور الدائم من الناحية العقائدية الدينية<sup>(31)</sup>.

ج-أما القسم الثالث فهو قسم وقف موقف الحياد من الدعوة المهديّة وإن كان في أنفسهم شيئاً منها . ولكنهم التزموا جانب الركون إلى الصمت ، وإن كان ذلك مؤقتاً وينتهي بوفاة محمد أحمد المهدي في يونيو 1885م ، وكان على رأس ذلك القسم عبد المحمود نور الدائم . هذا الفريق لا يعترف بمهديّة محمد أحمد لكنهم يدركون كامل الإدراك بأن المعارضة سوف تسلبهم الاحترام الذي يكنه لهم محمد أحمد كآباء لطريقته ، وكان هذا الاعتبار في حياة المهدي فقط كما ذكرنا ، أما في أيام الخليفة عبد الله فقدتغير الموقف تماماً لانعدام رابطة الأبوة والصوفية بالطريقة السمانية<sup>(32)</sup>.

#### موقف وتوجهات محمد شريف نور الدائم ضد الدعوة المهديّة:

عندما أعلن محمد أحمد مهديته وبدأ في مناهضة الحكومة بحسبانها عدوه اللدود تغير موقف محمد شريف نور الدائم من خلاف بين أستاذ وتلميذه في النواحي التوجيهية في العقيدة إلى خلاف أظهر نوايا محمد شريف على حقيقتها ، وأصبح الصراع صراعاً حول السلطة وأصبحت النواحي الدينية شماعة علق عليها محمد شريف مآربه ، وما كان ذلك إلاّ خدمة للحكومة التركية التي رفعت من قدره وأجرت عليه إحساناتها ، وجعلته صديقاً مع منحه لقب الباشا ، ووعده إذا بذل قصارى جهده في مقاومة المهدي . بزعم أنه الشخصية التي يمكن تقهر المهدي بنفس سلاحه . أن تسند إليه الأمور في السودان . إذن فان معارضة محمد شريف للمهديّة ليس إلا امتناناً للاتراك والحكومة المصرية ،

( محمد أحمد محبوب : الحركة الفكرية في السودان إلى أين يجب ان تتجه ، الخرطوم 1941م ، ص14-415 )

(1) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 642 .  
(2) عبد المحمود نور الدائم : أزهير الرياض ، ص 306 .

فبذل نفسه لطاعتهم ومعاداة من عاداهم<sup>(33)</sup>. واتخذ لمعارضة الدعوة المهدية عدة طرق نجملها في نقطتين هامتين هما:

### 1- ممالاة الحكام الاتراك في السودان:

#### أ- علاقة محمد شريف بالسلطان العثماني:

اتخذ محمد شريف في هذا المنحي وتراً عزف عليه لكسب رضى السلطان العثماني ووالي مصر في آن واحد . فنجده يقر بمبدأ شرعية خلافة السلطان العثماني للمسلمين ، وهو بذلك يقصد تثبيت ركن هذه محمد أحمد بمناداته بعدم شرعية السلطان وعدم وجوب طاعته والامتثال لأوامره . لأن خلافة السلطان العثماني تنتهي حيث بدأت المهدية ، لأنها الخلافة الكبرى والإمامة العظمى<sup>(34)</sup>. فظل محمد شريف يعمل لإعادة ثقة الناس في الدولة العلية ، ووجوب طاعة خليفة المسلمين العثماني على كل مسلم لأن شروط الإمامة تتوفر فيه من قبيل كونه ينتمي إلي الرسول (ﷺ) في نسبه، كما أنه يتميز بالقوى والصلاح ، ويخدم بيت الله الحرام ، ويحق الحق سراً وعلانية . كما استرسل محمد شريف في ذكر نعمه على الناس جميعاً وإن الناس لا زالوا يعيشون في رغد من العيش وليس هنالك من شظف في العيش مما يستوجب ظهور المهدي . وبهذا ينفي أهم علامة من علامات ظهور المهدي وهي الظلم والجور<sup>(35)</sup>.

#### ب- علاقة محمد شريف بوالي مصر:

رفع محمد شريف ايضاً من شأن والي مصر ، وذكر أن مصر هي قلعة الدين ومركز الاحسانات على السودان من جرايات ورواتب شهرية<sup>(36)</sup>. كما أنه أشاد بالإصلاحات العلمية التي وجهها والي مصر إلي السودان في مجال العلوم الدينية والعقلية . بل ذهب إلي أبعد من ذلك فنسب حضارة السودان ومدنيته إلي أنها من ثمار ونتاج الحكم التركي في السودان<sup>(37)</sup>. لهذا لم يتوان محمد شريف ساعة ظهور المهدي في الاتصال بالقائم مقام في الكوة موضعاً له خطورة الموقف<sup>(38)</sup>. ولكن القائم مقام لم يعر الأمر انتباهاً لاحتقاره لحركة المهدي باعتباره درويشاً في حالة جذب سماوي لأكثر ، فخاطب محمد شريف الحكمدار محمد روؤف في نفس الأمر ، وظل يخاطبه حتناً أصبحت المهدية

(1) مخطوط الشمعي ، ص 10 .

(2) مخطوط الشمعي ، ص 29

(3) مخطوط الشمعي . المصدر السابق نفسه ، ص 19 .

(4) يعترف محمد شريف نور الدائم بان الحكومة التركية قد خصصت اعانات لمنطقة النيل الأبيض ، كما خصصت لمحمد شريف 2

نفسه مرتباً شهرياً ز انظر ذلك في قوله :

نقوداً وعيشاً والجزاير كلها

زاد في الانعام لي ولعترتي

(راجع مخطوط الشمعي ، ص 20 )

(5) مخطوط الشمعي ، ص 20-21 .

(6) نفس المصدر ، ص 26 .

وشرقاً وغرباً وما نشاء من البر  
بقدر الذي يكفيننا نصره شهري

خطراً يهدد الحكومة نفسها<sup>(39)</sup> . فتخوف محمد روؤف وطلب الامدادات من مصر في أوائل عام 1882م بعد معركة راشد ايمن بك<sup>(40)</sup> مباشرة . ولما كان ذلك يتزامن مع قيام الثورة العربية في مصر وسيطرتها على مقاليد الأمور واحتفاظهم بالجنود لحماية مصر من الخطر البريطاني ، مع عدم إدراكهم لطبيعة وحجم الثورة المهديية ، وظنهم بأن ما في السودان من جنود الباشبوزق قمين بالقضاء على الثورة المهديية<sup>(41)</sup> . وما تقاوم تلك الثورة إلا من ضعف الحكماء محمد روؤف ، وعمدوا على استبداله برجل يعيد الثقة والطمأنينة إلي نفوس الناس بعد ما اصابها التزعزع<sup>(42)</sup> . ويمكن القول بأن مجهودات محمد شريف قد باءت بالفشل حتى نهاية عهد روؤف باشا ، إلا ان الموقف سيطراً عليه بعض التغيير عند قدوم عبد القادر حلمي باشا في مايو عام 1882م خلفاً لمحمد روؤف .

### ج- علاقة محمد شريف بعبد القادر حلمي باشا:

عند انتقال الحكمادارية من محمد روؤف إلى عبد القادر حلمي أصبح الأخير هو الرجل الموكل إليه قمع الثورة المهديية بتسخير الامكانيات المحلية . فرأى عبد القادر في محمد شريف الرجل الذي يمكن أن يتصدى لحركة المهدي الدينية التي لم تنتقل إلي الشمال بعد ، وكانت مقصورة على منطقة جبل قدير حتى ذلك الوقت ، فاتصل محمد شريف بعبد القادر حلمي باشا وأسدى له نصائح جمة في كيفية القضاء على حركة المهدي بحكم أنه أعلم الناس بطبائعه وأدري الناس بتطلعاته<sup>(43)</sup> . ولما كانت أولخطط عبد القادر حلمي للقضاء على الحركة المهديية تتبلور في دعوته لجميع العلماء وإبعازه لهم باستصدار فتاوي شرعية تكذب دعوى محمد أحمد وتبين بأنه ليس بالمهدي المنتظر . فقد أولى الجانب الدعائي إهتماماً أكبر من الحملات العسكرية . أوعز عبد القادر حلمي باشا إلي الشيخ محمد شريف نور الدائم من جملة العلماء الذين أوعز إليهم بأن يكتب نصيحة دينية تكون مستوفية لكل ما يرومه ، وأن تكون فاتحة خير للعلماء لإصدار فتاوي شبيهة بها . ولقد بادر محمد شريف بذلك طمعاً في مرضاة الحكماء عبد القادر حلمي وخديو مصر لاسيما وأن ذلك يمثل حرباً إعلامية قد تؤدي ما يؤديه الغرض العسكري إن لم تكن أكبر منه أثراً ، ويقول محمد شريف في هذا الصدد:

( شبيكة ، مكي : السودان عبر القرون ، ص 213 .5 )  
( راشد ايمن بك حاكم مديرية النيل الأبيض ، ومقره فشودة . قام بحملة فجائية على المهدي في جبل قدير لكن المهدي قضى عليها 6 في 9 سبتمبر 1881م وراح راشد ايمن بك نفسه ضحية في تلك الواقعة . راجع مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، ص 219-220 )  
( كانت القوة العسكرية المصرية الموجودة بالسودان عند قيام الثورة المهديية (40490) من الباشبوزق ، موزعين على حاميات 1 السودان المختلفة المتباعدة عن بعضها . راجع نعم شقير ، المرجع السابق ، ص 635-636 . )  
( شبيكة ، مكي : السودان عبر القرون ، ص 221 . انظر ايضاً شقير ، المرجع السابق ، ص 335-336 .2 )  
( مخطوط الشمعي ، ص 6 .3 )

(... فلما ايقنت من رجوعه (أى ارتداده) اخذتني الغيرة الإسلامية، والشفقة الدينية على نصح العالمين في جميع الجهات من المذكور ومن واقفه من المفسدين بالحق المبين ، ولان عموم أهل الذكر بالبر عهدتي ، وانا في ذلك حتى امرني شفاهاً (شفاهة) سعادتلو (سعادة لواء) عبد القادر باشا بان اكتب نصيحة مستوفية تسر العلماء والمتقين ، وترهب الطغاة والباغين فبادرته إليها طمعاً في رضاء الله تعالى ورسوله (ﷺ) وابتغاء مرضاة ولي نعمتنا افندينا الخديوي المعظم نصره الله ورفع سماء المجد علاه...)(44)

لم يكن هنالك توجيه من عبد القادر حلمي باشا بأن تكون النصيحة في شكل قصيدة ، ولكن محمد شريف جمع أفكاره من أهداف وتوجيهات في قصيدة واحدة تزيد على الأربعمئة بيت . وقد وضعها على عجلة لينال بها قصب السبق ، ولكي تستوفي غرضها فحسب دونما نظر لبنيناها اللغوي وترتيب أحداثها من الناحية التاريخية ، وبدلنا عدم الالتزام بالقيود الزمني في هذه النصيحة على أنها كتبت في شكل أجزاء في أوقات متفاوتة. والنصيحة في جملتها موجهة إلي عموم أهل السودان ، وهى على ضعفها اللغوي تمثل أقصى ما واجهته الدعوة المهدية من عمل مضاد قام به رجلاً هو أدرى الناس بخباياها وحقائقها منذ البداية ، وقرين صلة بتطوراتها وبكل ما يحيط بها من ملابسات(45). وتعتبر هذه النصيحة تنفيذ لحجج المهدية في السودان باعتبارها دعوة لا تمت إلي الدين بصلة لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما تقوم على أسس الغاية منها المكانة الدنيوية . وعموماً فان مكانة محمد شريف أصبحت معتبرة عند عبد القادر حلمي ، ويتضح ذلك من تأسيه وأسفه عندما عين الخديو علاء الدين باشا حكمداراً عاماً على السودان خلفاً لعبد القادر باشا حلمي . وقال محمد شريف لو أن الخديو كان يعلم بحقيقة أمر عبد القادر لابقاه لما يتصف به من علو الهمة وكبر الطموح لإزالة شبح المهدية(46).

هذا التحسر يرسم لنا صورة جلية توضح مدى علاقة محمد شريف بعبد القادر حلمي باشا والتي كانت تتطور بتطور أمر المهدية . هذا إذا وضعنا في الاعتبار أن عبد القادر حلمي باشا كان يعتمد على الامكانات المحلية في مسألة القضاء على الثورة المهدية ، الأمر الذي جعل محمد شريف يقدم

(1) نفس المكان .

( ) يقول محمد شريف في مخطوط الشمعي ص 8 مؤكداً علمه بخبايا دعوة محمد أحمد بقوله : 2) ومفتاحه عندي ولم يدره غيري وذلك صندوق وما فيه من يدي  
كمن يبصر الأعمى يسقط في البئر (البئر) وان لم اجاهر بالنصيحة اني

( مخطوط الشمعي ، ص 21. 1)

له كل معاونه لازمة ، غير أن محمد شريف كان كبير الأمل في أن يصير والياً على السودان تحت سيادة خليفة المسلمين العثماني الأسمية ، والتبعية الإدارية للخديو توفيق في مصر<sup>(47)</sup>.  
لم يجد محمد شريف استجابة لطلبه بأن يصير والياً على السودان، لأن الاستانة نفسها لم تكن ذات سيادة عليه ، فهو أي السودان ولاية خاصة بخديو مصر منذ أن قام بغزوه محمد على باشا عام 1821م بهدف استغلال موارده المادية والبشرية لمصلحته الشخصية والتي تتمثل في الوفاء بمتطلبات فتوحاته الخارجية<sup>(48)</sup>. وفي الوقت نفسه فان مصر قد خرجت فعلياً من نفوذ الدولة العثمانية وأصبحت محمية بريطانية بعد القضاء على الثورة العراقية في عام 1882م. وظلت السيادة العثمانية عليها إسمية فقط<sup>(49)</sup>. لهذا أصبحت كل من مصر والدولة العثمانية في شغل شاغل ، ولا مجال لمفاوضة محمد شريف في مسألة ولاية السودان ، واكتفى الخديو توفيق بأن بعث إليه بمكافأة مادية نظير ما قدمه للحكومة من خدمة في السودان من عيوش وإمدادات غذائية لجيوشها نظير ما قام به من دور في فدية عساكرها عندما أسره المهدي في معاركه الأولى<sup>(50)</sup>.

#### د - علاقة محمد شريف بعلاء الدين باشا:

عندما استبدل عبد القادر حلمي باشا بعلاء الدين تم ذلك في سرية شديدة ، وكان محمد شريف لا يأخذه أدنى شك في أن يكون عبد القادر حلمي باشا قد أبلغ علاء الدين باشا بكل الأمور والمحادثات التي تدور بين الجانبين. وأن يكون قد أوضح له ما قدمه محمد شريف من خدمة للحكومة . إلا ان مسألة تحي عبد القادر حلمي وولاية علاء الدين يشوبها بعض الغموض من حيث السرية والسرعة التي لم تمكن عبد القادر حلمي من الالتفات للأمور الصغيرة مثل علاقته بمحمد شريف نور الدائم. غير أن محمد شريف إجتمع بعلاء الدين باشا ، وتفكر معه في إمكانية قيادة الجيش إذا ما عاونته الحكومة بكل ما في وسعها من إمكانات تعينه على كسب الجولة التي أصبحت الحكومة بعيدة عن الفوز بها. وبقيادة محمد شريف للجيش يختل المفهوم السائد عن الحرب بأنها حرب بين الإسلام والكفر كما أعلنها المهدي ، لأن هكس باشا في نظر المهدي كافر، فمن ثم تصبح الحرب حرباً بين الصوفية تكون الغلبة فيها للأستاذ على تلميذه طالما أن الحكومة هي التي تمده وتدعمه.

( المصدر السابق نفسه ، ص 26. 2)

( شبيكة ، مكي : السودان عبر القرون ، ص 78. 3)

( المرجع السابق نفسه ، ص 237. 4)

(1) لقد بالغ محمد شريف في مجهوداته المادية للحكومة التركية ضد الدعوة المهدية ، حيث بلغت مساهماته لإمداد جنود الحكومة في منطقة النيل الأبيض (الكوة) فقط ألفاً أدرب من العيوش ، راجع مخطوط الشمعي، ص 26-27.

عندما عرض علاء الدين الأمر على زملائه قوبل بالرفض التام، ويرجع ذلك من خوفهم من طموحات محمد شريف نفسه إذا ما أمدته الحكومة بالأسلحة والذخيرة وانتصر على المهدي<sup>(51)</sup>. لان المهدي يقاوم بأسلحة بدائية غير متطورة وجيشه غير نظامي يعوزه التدريب. أما محمد شريف اذا ما امدته الحكومة بالأسلحة المتطورة وانتصر على المهدي فسوف يشكل خطورة قصوى ويذبح الحكومة بمديتها . لهذا ليس بالغريب ان تنتهي المفاوضات بين محمد شريف وعلاء الدين والقيادة العسكرية إلى طريق مسدود ونتائج سلبية . إلا أن محمد شريف لم يقتنع بحجج الحكومة الواهية ، وأخذ يدافع عن علاقته بالحكومة التركية وما لها من جاه وسيادة<sup>(52)</sup>.

#### هـ/ اقتراح محمد شريف بتعيين الزبير باشا قائداً للحملة:

أدرك محمد شريف أن كل ما كان يصبو إليه من آمال وأحلام قد تبدد ، وأصبح أمراً بعيد المنال، فأبدى اقتراحاً بأن يكون الزبير باشا رحمة<sup>(53)</sup> هو المندوب لقيادة الجيش. وبرر ذلك بأن الزبير له قاعدة قبلية عريضة تمكنه من الانتصار على المهدي، مستشهداً بفتوحاته في دارفور وما إضافه لتوسيع رقعة الحكم التركي في السودان. أضف إلى ذلك خلاصه للحكومة<sup>(54)</sup>. ولكن علاء الدين باشا لم يكثر لهذه النصيحة أيضاً ، بل ركز على تنفيذ الخطة العسكرية المرسومة له والتي إنفق عليها مع قيادة أركان الجيش لتأدية معركة شيكان. ولما كان الجيش تحت قيادة رجل مسيحي كافر بمفهوم المهدي كان ذلك من أهم الأمور التي رفعت من الروح المعنوية لجيش المهدي لنيل احدي الحسنين (الشهادة أو النصر)<sup>(55)</sup>. ولو أراد الله وكانت تلك الحرب تحت قيادة محمد شريف أو الزبير باشا فلربما كانت نتيجتها مختلفة.

وفي اقتراح شبيهه باقتراح محمد شريف نور الدائم ، طلب غردون باشا ، عندما إنتدب لتنفيذ سياسة الاخلاء والانسحاب في أواخر عام 1883م، أن يكون الزبير باشا رحمة هو الرجل المنوط به تولي رئاسة الحكومة بعد انسحاب الجيوش المصرية، لكنه لم يوفق<sup>(56)</sup>. ويبدو أن غردون لم يختار محمد شريف نور الدائم رغم علاقته الوثيقة بالحكومة لخوفه من تطلعاته لأن شخصيته خارجة عن المحيط

(2) تعرض محمد شريف غلي ما وجه إليه من تهمة تتمثل في خطورته بعد الانتصار حيث قال : فكيف من المهدي الكبير على القطر المهدي الصغير اهنا راجع مخطوط الشمعي ، ص 27 .

(1) المخطوط الشمعي ، ص 27-28 .

(2) هو الزبير بن رحمة منصور ، ينتمي إلى قبيلة الجميعات الجعلية ، التي تسكن فيما بين جبل قري وجبل الشيخ الطيب ، ولد في جزيرة وواستي في 17 محرم 1246هـ (1831م) في عام 1856م عمل بالتجارة وسافر إلى بحر الغزال وفي عام 1865م أسس حكومة إسلامية في بحر الغزال عاصمتها نيم زبير ، فتح دارفور في عام 1874م واعتقل في عام 1875م توفي عام 1913م ودفن بالجيلي (راجع نعوم شقير ص 568 – 601).

(3) نعوم شقير ، المصدر السابق ص 591 – 594 ، أنظر أيضاً مخطوط الشمعي ، ص 23.

(4) نفس المصدر ، ص 720 – 721.

(1) مكي شببكة ، السودان عبر القرون ، ص 251.

المحلي باتصالاتها وعلاقتها بالسياسة ونظم الحكم في العالم العربي وتركيا. أما الزبير باشا فبالرغم من ما واجهه من الحكومة التركية كسجنه واعدام ابنه سليمان<sup>(57)</sup> وغير ذلك ، فالغالب عليه هو الطابع المحلي فكرً وشعوراً أكثر من الجانب السياسي.

و/ انكار محمد شريف لمهدية محمد أحمد:

كل ما تحدثنا عنه من علاقة محمد شريف بالمهدية ، وموقفه ضدها لا يعدو أن يكون موقفا تقوده المطامع الشخصية. سواء كان ذلك لمنفعة ذاتية أو جرياً وراء جاه. ولقد تطرق محمد شريف في مخطوطه موضعاً رأيه في المهدية كعقيدة، وهذا يمثل الجانب الفكري في معارضة محمد شريف نور الدائم للمهدية. ويقول محمد شريف في مقدمة نصيحته:

" ... وأن محمد أحمد المهدي الدنقلوي الخناقي قد كان تلميذي وتابعي في طريق الإرشاد، وخادمي في كل ما هو لازم عشرون سنة، ولما سلك طريق السير، وظهرت له معالم الخير، وشم رائحة نفحات الذكر، تجبر وتكبر بتزيين شياطين الانس والجن. وكذا شدة الفقر ومرارة العسر. فادعى دعواه الشيطانية. وخالف أمري وخرج من يدي بالكلية، فجمعت عليه القضاة والنظار، وما في الاقسام الثلاثة من الاخيار وراجعت في الرجوع عن ما إدعاه من الضلال، وأشهدت الله ورسوله والحاضرين أن رجع أشاطره جميع ما ملكت يدي من الأموال فخرج من مجلسنا لمشاورة من معه من الأصحاب، فمنعوه من الإياب، فثبت بذلك أن لا مفر من الغدر، فلما أيقنت من رجوعه، اخذتني الغيرة الإسلامية، والشفقة الدينية على نصح العالمين في جميع الجهات، من المذكور ومن رافقه من المفسدين بالحق المبين، ولأن عموم الوطنية، منوهاً على أنهم بعد الرغبة الشيطانية سيندمون، وبعد الاقبال عليه باللعة سيرجعون. ولعلمي أنه ما بين دعواه هذه الإزالة فقره وعسره. بأخذ الأموال وسبي النساء والأطفال، وقتل من يخالفه من الرجال. فأعلنت لهم بذلك وأسرت ، فلم يصفوا للمقال ، ولم يرجعوا عن ما هم فيه من الضلال وبالمعلوم أن الجاهل العطشان إذا ترمى له السراب في الأرض يتيقن أنه البحر، فيقصده بكامل همته ليزيل بالشراب عطشه<sup>(58)</sup>.

من هذا العرض يتضح لنا أن محمد شريف من ناحية فكرية يعتبر دعوة محمد أحمد للمهدية نبت شيطاني ابتدعه لضرورة ملحة لما هو عليه من العدم والفقر. وقد أنكر على المهدي الآتي:

(2) تتحرك سليمان بن الزبير بعد سجن والده عام 1875م في مصر بجيش قوامه أربعة آلاف ، واشترك به في معركة دامية مع جيش الإيطالي وبمعاونة بعض تجار الرقيق ، قضى جسي على سليمان في يوليو عام 1879م (راجع نعوم شقير ، ص 609 - Gessi جسي (610).

(1) مخطوط الشمعي ، ص 5-6 .

أ) ان كل ما أسنده من أقوال إلى الله وإلى النبي (ﷺ) مكتوبة مردودة إليه كأخباره بالخسف والمسح للأعداء.

ب) حرم محمد شريف مبدأ السبي المتبع في المهديّة. وكان المهدي يعتبر أن الزوجة التي وقف زوجها مع الأتراك "الكفار" لا تستوجب طلاقاً، بل يصير عقدها مفسوخاً تلقائياً<sup>(59)</sup>. استناداً على قوله تعالى: ﴿... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمَتَّ حَنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحُدُّونَ لَهُنَّ...﴾<sup>(60)</sup> باعتبار أن الزوجة ما دامت في أرض المهديّة فهي في حكم المهاجرات ، والأساس في ذلك أن كل من خالف المهديّة ولم يؤمن بها كافر. أما الغائبون مع الأتراك فلا عدة لأزواجهم، اللهم إلا تبراة أرحامهن<sup>(61)</sup>. ولقد فسر بعض الأنصار أقوال المهدي تفسيرات خاطئة فقد استولى بعضهم على زوجات وهن تحت عصم أزواجهن استناداً على قول المهدي نساء الفقرات غنيمّة<sup>(62)</sup> لهذا يوضح محمد شريف أنه لا يحق لمحمد أحمد المهدي أخذ زوجة الكافر كغنيمّة من غير عقد ولا مهر ، ناهيك عن إنها تحت عصمة رجل<sup>(63)</sup>.

ت) أنكر محمد شريف على محمد أحمد المهدي قوله أنه يصلي في كل المساجد حتى المسجد الأقصى.

ث) كما أنكر عليه أيضا منع للحج بحجة الجهاد في سبيل الله<sup>(64)</sup>.

ج) وأنكر عليه أيضا قوله أنه فضل على الأنبياء جميعا إلا محمد (ص)<sup>(65)</sup>.

كل هذه النقاط حسب زعم محمد شريف تؤكد أن محمد أحمد ليس هو بالمهدي المنتظر، ويوضح محمد شريف أن للمهدي علامات وآيات بلا تغيب عن ذي عقل يلخصها لنا في الآتي:

1) محمد المهدي المنتظر يرجع إلى النسب الشريف ، من قبل أمه إلى فاطمة الزهراء، ومن قبل أبيه إلى العباس، وينكر على محمد أحمد بن عبد الله نسبه الشريف. ومن ثم يصفه بالخناقي كناية عن مقر أسرته بدنقلا العرضي.

2) للمهدي المنتظر كرامات وآيات تدل عليه، وكاخضرار اليأس في يومه.

3) لا يقتل ولا يأسر.

(2) الإمام محمد أحمد المهدي ، منشورات المهديّة ، ج3 الاحكام (إدارة المحفوظات المركزية الخرطوم 1964م) ص 5.  
(3) سورة الممتحنة آية رقم 10.

(1) منشورات المهديّة ، ج3 الأحكام ، ص 28.

(2) نفس المصدر ، ص 52، الفقرة هي المحاطة بالخندق وتقع داخل نطاق الحصار، ولم يؤمن أهلها بفكرة المهديّة.

(3) مخطوط الشمعي ، ص 11.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص 13

(5) المصدر السابق نفسه ، ص 14.



- 4) يحيي الموتى وله شئ في تصريف علم الغيب.
- 5) يسمع من قبل السماء مناد ينادي عليه بالهداية والخير<sup>(66)</sup>.
- 6) يقتفي أثر الرسول (ﷺ).
- 7) يعقبه المسيح الأعور الدجال، ثم عيسى بن مريم ثم يأجوج ومأجوج من نسل آدم، ومن بعدهم تطلع الشمس من الجهة الغربية ويغلق باب التوبة ثم تأتي الدابة<sup>(67)</sup>.

#### محمد شريف نور الدائم يهاجر إلى المهدي:

كان المهدي مطلعاً على كل تحركات شيخه وأستاذه محمد شريف، وكل ما يجري بينه وبين الحكومة التركية، ولم يكن ذلك أمراً خافياً، غير أن المهدي حتى ذلك الحين لم يغلظ لشيخه في القول، ولم تكن خطابه له سوى نصائح ودلائل لإقناعه بأنه هو المهدي المنتظر ولا يرجو منه سوى الإسراع إليه ليضع نفسه وأتباعه تحت كفالة أمان المهدي. ولكي يؤكد المهدي صفته ومكانته الشرعية في عضوية الطريقة السمانية، أخبر محمد شريف نور الدائم بأن القطب أحمد الطيب البشير أخبره في حضرة نبوية بأن لا يأخذ محمد شريف من غير نصيحة.

"... وقد أخبرني أبونا القطب الطيب أن لو أخذتكم بما كان من غير نصيحة لك يشكوني يوم القيامة عند رسول الله (ص) وقال: وإن نصحتهم فلم يقبل فأفعل به ما شئت فإني راض..."<sup>(68)</sup>

في ذلك الوقت كان محمد شريف قد انتقل من العراديبي إلى مقر آبائه في أم مرح بأرض الحلاويين، وبقي بها أملاً في سقوط جيوش المهديّة أمام قوة الأتراك<sup>(69)</sup>. فبلغه خطاب المهدي الذي يحمل إشارات واضحة من التهديد والتوعيد إن لم يلتزم محمد شريف بالهجرة إليه. وهذه هي أول بادرة ترد فيها الغلظة من المهدي لأستاذه محمد شريف مع علمه التام بموقفه من الدعوة المهديّة. ويبدو أن هذا الخطاب قد كتب بعد احتلال محمد الخير عبد الله الغبشاي لبربر في مايو عام 1884م (شعبان 1301هـ)، وقطع طريق الامدادات بين الخرطوم والقاهرة، ويقين المهدي التام بانقطاع إتصالات أستاذه بالحكومة المصرية<sup>(70)</sup>. ولعل صمت المهدي عنه طيلة الفترة السابقة - مع إحترامه لحقه في العلم والإرشاد - كان خوفاً من هروبه إلى مصر<sup>(71)</sup> وتكثيف الدعاية وتسليطها ضد الدعوة المهديّة التي كان المهدي يؤمل في نشرها خارج السودان.

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 31.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص 32.

(3) محمد أحمد المهدي ، منشورات المهديّة ، ج2 كتاب الانذارات (ب) خطاب من المهدي لمحمد شريف نور الدائم (ب) ويرجع أنه كتب بعد مايو 1884م (أي بعد 23 رجب 1301 هـ) ص 133.

(4) نعم شقير ، المصدر السابق ص 825.

(1) نعم شقير . المصدر السابق ص 778 - 790.

(2) مخطوط الشمعي ، ص 28.

وحتى لا يكون إحترام المهدي لآباء طريقته مطية لمحمد شريف للعمل ضده أرسل المهدي لمحمد شريف خطاباً آخرأ أوضح له فيه أنه أعلم بدقائق أمره، وكل ما يدور في خلد من إتصالات ضده ، كما أوضح له أن الا يغتر بالحسب والنسب<sup>(72)</sup>.

عندما أدرك محمد شريف نور الدائم أن المهدي منتصر لا محالة ، وأن نجم حكومة الأتراك قد أفل، وأن الظروف تقتضي منه الإذعان لتلميذه والإتقياد إليه، ركب محمد شريف بعد ما علم بتحرك المهدي من الأبيض نحو الخرطوم، بل لأنه المهدي المنتصر، وكان ذلك عندما علم محمد شريف بسقوط بربر وانقطاع أمله في وصول إمدادات من جهة الشمال إلى الخرطوم، أو عن طريق بربر سواكن لما فرضه عثمان دقنة من حصار شديد على سواكن، وأن الأبواب أصبحت موصدة دونه إذا ما أراد اللجوء إلى مصر حيث كان ينوي ذلك. وعندما وصل محمد شريف إلى المهدي أكرم وفادته وصفح عنه ، وأظهر له كل ود واحترام لفضله عليه في العلم<sup>(73)</sup>. وقال المهدي " .. ان خلاف ما قبل المهديّة قد اندرس وانمحي، والمهديّة صفحة جديدة لكل مجاهد وضع يده على يدي وبإيعني ....."<sup>(74)</sup>.

فلم يضام محمد شريف عند المهدي، ولم ينكسر له بصر، بل قدر حق قدره ونبحت له الذبائح والنياق إحتفاءً بمقدمه. وبقي محمد شريف بصحبة المهدي إلى أن قبض الله روح المهدي في 22 يونيو 1885م (6 رمضان 1302هـ) فوقع محمد شريف في يد الخليفة عبد الله ، الذي أرسل إليه رجلين لإحضاره من أم مرح هما البشير وحاج المهدي<sup>(75)</sup>.

عندما أحضر محمد شريف إلى الخليفة عبد الله أودعه السجن تحفظاً، وبقي به حتى دخول الجيش الغازي إلى السودان في عام 1896م<sup>(76)</sup>.

#### الشيخ عبد المحمود وموقفه من المهديّة :

يمثل عبد المحمود نور الدائم تياراً نقيضاً لأخيه محمد شريف ، فقد إتسمت علاقته بالمهديّة بالمرونة، ولم يشوبها الكدر إلا في عهد الخليفة عبد الله، فبالرغم من أن عبد المحمود كان يحظى بمكانة مرموقة عند السمانية قاطبة إلا أنه لم يوافق أخاه محمد شريف على الخروج على المهدي ومعارضته، ولم يوجه أتباعه أو يسخرهم لهذا الغرض. فلربما كان ذلك لخلافه مع محمد شريف في

(3) منشورات المهديّة ، ج 2 الإبرادات (ب). ص 169 – 172.  
خطاب المهدي إلى محمد شريف نور الدائم وأخته، زوجة أحمد عبد الرحمن بدون تاريخ.

(1) سليمان كشة : تأسيس مدينة الخرطوم والمهديّة ، أم درمان بدون تاريخ و مكان نشر ، ص 17.

(2) نفس المرجع ، ص 72.

(3) مخطوط الشمعي ، ص 28.

(4) نعوم شقير المصدر السابق ، ص 825.

بعض الأمور الدينية<sup>(77)</sup>. ونظرت له حركة المهدي كقوة وثورة لا يكبح لها جماح، جعله يحتفظ على علاقته الطيبة مع محمد أحمد المهدي طالما كان المهدي يحفظ لهم حق أبوة الطريق<sup>(78)</sup>. ويمكن القول أيضا أن عبد المحمود نور الدائم ربما أراد أن يحافظ على المركز الديني للطريقة السمانية طالما أن أخاه محمد شريف اشتغل بالأمور السياسية.

بالرغم من أننا وقفنا على نصيحة محمد شريف عن المهدي والمهدية، وطالعتنا عدة أبيات تطرق فيها إلى المهدي بالشم والتجريح والإهانة، كما وصفه بأوصاف رذيلة<sup>(79)</sup>. رغم ما قدمه له من خدمة دامت عشرين عاما بالغ فيها المهدي بفعل الأمور الحميدة، واضعاً نفسه لشيخه يخدم له ما تكبر عليه نفوس الغير<sup>(80)</sup>. وعلى نقيض ذلك كان أخوه عبد المحمود، فقد تطرق لسيرة المهدي واصفاً إياه بالعفاف والصدق والأمانة والعلم، ولم يذكره بمكروه مع إقراره بأن المهدي من أهل الكراما<sup>(81)</sup>. كذلك فإن عبد المحمود نور الدائم لم يؤثر فيه انتقال ولاء المهدي من محمد شريف إلى الشيخ القرشي ود الزين. ويوضح لنا ذلك قائلا:

"..... ثم أنه بعد تلك المدة المذكورة قد أحببت نفسه الانتقال إلى صحبة عارف وقته ليكمل له المقصود، وهو العارف الرياني شيخنا الشيخ القرشي بن الزين رضي الله عنه، فانتقل إليه وهو وتلاميذه وأخذ عليه الطريقة. ولكن بإذن من سيدي الشيخ أحمد الطيب البشير رضي الله عنه. هكذا حدثني شيخنا مشافهة..."<sup>(82)</sup>.

ونقل عبد المحمود هذا الإذن من الشيخ القرشي ود الزين مباشرة لكننا نجد في حديثه حذراً يتحاشى الوقوع في توضيح ما وقع بين محمد أحمد المهدي وأخيه محمد شرف نور الدائم من خلاف. كما أنه أمن على أن هذا الانتقال قد جاء بإذن فوقه ليس للمهدي يد فيه. بالرغم من ذلك فإن عبد المحمود لا ينكر عدم اعترافه بمهدية محمد أحمد، ونستشف ذلك من قوله:

"..... في عام ثمان وتسعين من بعد المائتين والألف، ومن بعد خروجه منا<sup>(83)</sup> ادعى المهدي، ونشر المناشير في الأرض بداعواه. ولم يبال في ذلك وما حدث فيه بعد ذلك. فلا نطيل بذكره فنحن والناس فيه سياتن. وأنه مع ملكه ورفيع درجته وفوقيته لم يجنح عن ما كان عليه من

(5) شقير، المصدر السابق نفسه، ص 642.

(1) عبد المحمود نور الدائم، أزاهير الرياض، ص 206.

(2) مخطوط الشمعي، ص 18، وأيضا ص 25.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 23.

(4) عبد المحمود نور الدائم، نفس المرجع، ص 304 – 305.

(5) عبد المحمود، المرجع السابق، ص 305.

(1) يوضح عبد المحمود نور الدائم هنا أن محمد أحمد أعلن مهديته في عام 1298هـ أي بعد الفراغ من بناء قبة الشيخ القرشي ود الزين وهذا يعتبر ردا دامغا على ادعاء محمد شريف بأن المهدي أسر له بدعواه عام 1295هـ – (1878م) (راجع نعوم شقير ص 629 – 640).

التواضع والانكسار، ومراعاة أهل الفضل، وتعظيم أهل الشرف والكرم والوسع والقلب الخاشع والأدب، ولا سيما مع أبناء شيوخه. وكان حين دعاه مؤلف هذه المناقب للقدوم عليه والاقامة معه ..... إلا من خواصه لأن نفوسهم فيها شئ من جهتنا لم يسمعه فينا ما يستوجب هدية أو تعظيماً ، ولا زالوا معاكسين له فيما يريد من الكرامة<sup>(84)</sup>.

يتضح من النص السابق أن مكانة أبناء نور الدائم الروحية عند المهدي محفوظة، رغم عدم إعتقادهم بأنه المهدي المنتظر، ويقول عبد المحمود نور الدائم "... ومن بعد خروجه منا أدعى المهديّة ... " فهذه العبارة تمثل صراحة رأي عبد المحمود نور الدائم في محمد أحمد المهدي ، أما علاقته بخواص المهدي فهو لا يتردد في أن يفصح عن غضبه تجاههم ويقول:  
" ... لان في نفوسهم شئ من جهتنا ... " ولم يفسر لنا ذلك الشيء ويبدو أنه أورد هذه العبارة مطلقاً للأسباب الآتية:

(أ) لكي لا يחדش علاقته الحميدة مع المهدي، وهي علاقة لا يشوبها غير الاحترام والمودة. دون التطرق للناحية الفكرية للمهدية.

(ب) ولربما لم يقطع عبد المحمود الشك في أن يكون ذلك وشاية من المتطرفين في حماسهم للثورة المهديّة أم غير ذلك.

(ت) ولكن الاحتمال الأرجح أن يكون الدافع إلى ذلك هو خطابة الخليفة عبد الله الذي أرسله إلى أولاد نور الدائم. ولم يراع فيه مكانتهم الدينية ، وأنبههم فيه وأخذهم على تصرفهم تجاه المهدي، وقعودهم عنه وعدم مساندتهم له في موقفه.

لقد كان خطاب الخليفة عبد الله شديداً في لهجته كقوله : "... إن اكتساب الآداب دأب الانجاب، وأنكم من أولى الإلباب، وقد جعلكم الله انصاراً للمهدي عيه السلام، وعن اصحاب الأحباب،....". ثم أخذ يتحدث عن الزهد والنقشف طاعناً لما هم فيه من عظمة ورغد عيش. مع عدم تصديقهم بمهدية محمد أحمد المهدي، وإنكارهم لها رغم خطابته المتكررة لهم "... ومع سماعكم لهذا كله لستم عاملين به في جل الأوقات بل على خلافه فكأن أنكم غير واعية إذ كثير ما سمعنا منكم هفوات بتجاسركم على خليفة رسول الله (ص) وبين يديه بما لا يليق. وكان من الأدب ترك مثل عجب النفس، وادعاء الصلاح، والافتخار بمرتبه الآباء ..."<sup>(1)</sup> ثم أوضح في بقية خطابه وصفاً لحالة أولاد نور الدائم بأنهم انكبوا على الدنيا وطلبوا من المهدي الإمارات وأكثروا التوسط في تسهيل أمور الغير .

(2) المرجع السابق ، ص 306.

(1) منشورات المهديّة ، ج 2 ، ص 178 – 182 خطاب من الخليفة عبد الله إلى أولاد نور الدائم. رمضان 1301 هـ (يونيو 1884م).

انه مما يثير العجب حقاً أن يصدر هذا الخطاب باسم الخليفة عبد الله والمهدي على قيد الحياة، ولعلها الحادثة الأولى والأخيرة من نوعها. ويبدو أن الدافع الأساسي جعل الخليفة عبد الله يصدر هذا الخطاب. هو إدراكه التام لتلك التجاوزات التي ظل أبناء نور الدائم يحظون بها دون غيرهم في دولة المهدي. فالمهدي تلميذ آبائهم ولا يهون عليه جرحهم واحراجهم وفاءً لهذه العلاقة التي كان يقدرها حق قدرها. ويبدو أن الخليفة عبد الله بجرأته هذه أراد ان يتولى الحرج ويتحمل تبعاته، وأن يعالج الموقف بمعزل عن المهدي، وفي الوقت نفسه أراد الخليفة بذلك ألا تكون في علاقة أبوه الطريقة بين المهدي وأولاد نور الدائم ثغرة تؤدي إلى خلل في الدعوة. ولا سيما أن الدعوة في ذلك الحين كانت تتطلب موقف القوة. ويتضح من هذا الخطاب أن أولاد نور الدائم - ونخص منهم عبد الحمود- يقف تأييدهم للمهدي على أنه ابن طريقتهم لا غير، دون اعتبار لحركته الفكرية كما أسلفنا، لهذا أصبحوا يولونه إحتراماً شخصياً. فأراد الخليفة رفع قناع التستر لتحديد الموقف بصورة حاسمة، فقد أصبح تلميذهم الآن خليفة رسول الله (ص) ، وبما أن أولاد نور الدائم يعرفون قدر أنفسهم عند المهدي فلا شك أن مثل هذا الخطاب قد يثير انتباههم ويوقظ فيهم روح الحذر.

لنا وقفة قصيرة مع هذا الخطاب وسؤال هو: هل يمكن للخليفة عبد الله اصدار منشور يهاجم فيه شيوخ وأبناء المهدي دون مشورته؟ ونستشف الرد على على هذا السؤال من خطاب المهدي لأولاد نور الدائم، الذي أرسله لهم اعتذاراً عن خطاب الخليفة عبد الله، وأوضح لهم أن هذا الخطاب، قد كتبه محمد فوزي ناسباً إياه للخليفة عبد الله وكان الدافع الأساسي لذلك لا يتعدى المحبة والإتصال. ويقول الهدي في خطابه: "... وقد كنت ذاكرتهم وعاتبتهم فيه أشد من هذا العتاب الذي كتبه فوزي ناسباً له لخليفة الصديق..."<sup>(1)</sup> فقد أوضح لهم أنه عاتب الخليفة عبد الله ومن أعانه على كتابة هذا الخطاب وإرساله قبل الاطلاع عليه. ولكن المتدبر للنص السابق يعرف تماماً أن المهدي قد برأ الخليفة عبد الله، وأسند التهمة كلها لمحمد فوزي ، لأنه كتب الخطاب ونسبه للخليفة عبد الله، ولكنه في نفس الوقت لا يخرج الخليفة عبد الله من دائرة اللوم، وأشار إلى أولاد نور الدائم أن يعتبروا ذلك الخطاب امتحاناً من الله تعالى لأن المؤمن حقاً من فطرته وقوع البلايا عليه وتحمله لها. كما اعتبر المهدي في نفس الوقت إعتذاره لأولاد نور الدائم امتحاناً للمودة والمحبة بينه وبين الخليفة عبد الله في اختبار المحبين بالمحن والبلايا والشدائد لينكشف صدق حبه<sup>(85)</sup>.

يبدو من خطاب المهدي السابق، أن المهدي لم يكن على علم بتدبير هذا الخطاب، وقد أصبح في حرج شديد مع أولاد نور الدائم كما واجه في إرضائهم حرجاً أكبر مع الخليفة عبد الله بن محمد،

(1) منشورات المهدي، ج3، ص 182 - 183 ، خطاب من المهدي لأولاد نور الدائم غرة ربيع الثاني 1301هـ (30 يناير 1884م).

(1) منشورات المهدي، ج2، 181 - 184، خطاب المهدي لابناء نور الدائم بتاريخ شوال 1301هـ (يونيو 1884م)

ولكن المهدي بفكرة الثاقب حل هذا المأزق بأن إعتبره امتحاناً للطرفين، كما أمر أبناء نور الدائم بعدم التقاعس عنه تأثراً بهذا الخطاب<sup>(86)</sup>. ثم بعد ذلك جدد المهدي الأمان لأولاد نور الدائم على لسانه وعلى لسان أصحابه، فالتزموا جانب الصمت، ولم يبد المهدي استياءً نحوهم ، وظل معهم على حالة صفاء ومودة إلى أن قبض الله روحه إليه في رمضان من عام 1302هـ (يونيو 1885م)<sup>(87)</sup>.

#### ال خليفة عبد الله والطريقة السمانية:

كان الخليفة عبد الله ينظر إلى شيوخ الطريقة السمانية في أيام المهدي بعين اللأحتقار لموقفهم السلبي من الدعوة المهدية وإنكارهم لها. وقد كان لتقاضي المهدي عنهم أيضاً أثر في نفس الخليفة عبد الله ، مما حمله لتوجيه الخطاب آنف الذكر لهم يزرهم فيه لعدم إمتثالهم لأمر المهدية، وعدم إنقيادهم لدعوتها والإيمان بها إيماناً مطلقاً. ولربما كان ذلك نابعا من عمق إيمانه بالمهدية الذي جعله متطرفاً في معاملته مع الخارجين عليها. هذا ولقد كان لرد المهدي واعتذاره لهم أثر حز في نفس الخليفة عبد الله مما أضطر المهدي لأن يصدر منشوراً خاص أوضح فيه مكانة الخليفة عبد الله من الدعوة المهدية<sup>(88)</sup>.

إعتبر الخليفة عبد الله أن تأييد السمانية قاطبة للمهدية مبنياً على العلاقة القديمة التي تربطهم بمؤسسها، وعندما آل الأمر إليه بعد وفاة المهدي وهو الأمر الذي كان يخشاه زعماء الطريقة السمانية ، لم يكن يظن أن لتلك العلاقة مكاناً ، لأنه لم يكن متصوفاً على غرار المهدي، بل كان رجل إدارة وجيش مع محاولته لتقليد المهدي مجارة لنزعة التصوف التي كانت هي أصلاً من دعوات المهدي الهامة<sup>(89)</sup>.

لقد كان الخليفة عبد الله يختلف عن المهدي في نظرتة إلى الطرق الصوفية عموماً. والفارق الأساسي أن المهدي تربي في كنف هذه الطرق، فأصبح يحتفظ لها بقدسيته، وبالأخص الطريقة السمانية التي تعتبر منهل مشاربه الصوفية. أما الخليفة عبد الله فلم يكن قد أخذ من الصوفية ما يؤهله لأن يدين لها بالولاء. أما صلته بالطريقة السمانية فهي حديثة عهد، أي بعد وفاة القرشي ود الزين وإتمام بناء قبته في عام 1295هـ (1878م)<sup>(90)</sup>.

(2) نفس المصدر ، ج3 ، الأحكام ، ص 184 – 185 ، من المهدي لأبناء نور الدائم بتاريخ ربيع الثاني 1301هـ (يناير 1884م).

(3) عبد المحمود نور الدائم ، أزهير الرياض ، ص 307.

(4) منشورات المهدية ، ج3 ، ص 187.

(1) منشورات المهدية ج 2، ص 181-184 : خطاب من المهدي الي أبناء نور الدائم بتاريخ شوال 1301هـ - يونيو

1884م .

(2) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 642 – 644.

ولما تقلد الخليفة عبد الله سدة الخلافة واجه من الأمور ما هو جدير بأن يدفعه ليبني زعامته على العصبية القبلية، التي سوف تكون له سنداً في تعقبه للمنكرين لحقه في الخلافة والمنافسين له في السلطة، مع تمسكه بتنفيذ شعائر المهديية بين الناس بما يوافقها من الحزم. فسعى وراء المخالفين بتسمع أخبارهم، وتصديقها حقيقة كانت أو غير ذلك. ومن جراء ذلك تشدد في موقفه من شيوخ الطرق الصوفية واستحكم العداء بين الطرفين. وبما أن شيوخ الطريقة السمانية يقعون تحت هذه الطائفة فقد كان موقفهم في عهد الخليفة عبد الله واضحاً لا مداراة فيه. حيث إنه لم يكن من تلاميذهم فيتم خضوعه لهم كما كان المهدي من قبل<sup>(91)</sup>.

انتهاز أعداء الطريقة السمانية الفرصة للإيقاع بين الخليفة عبد الله وشيوخها، وأوردوا للخليفة عبد الله وشايات عديدة تزامنت مع مناورات الأشراف بقيادة الخليفة محمد شريف حامد، لمنازعة الخليفة عبد الله في أحقيته بالخلافة، تورد إحدى تلك الوشايات أن الشيخ عبد المحمود نور الدائم بعد وفاة المهدي مباشرة، أخذ على الناس البيعة لنفسه، وعظم أمره. وحمل هذه الوشاية إلى الخليفة عبد الله أحد جماعة القاضي أحمد الأزرق<sup>(92)</sup>. إهتم الخليفة لهذا الأمر غاية الإهتمام، وأوضح أن هذا الأمر في أهميته ووجوب القضاء عليه أبلغ من أمر الخليفة محمد شريف حامد فأرسل إلى مقر الخليفة عبد المحمود في قرية طابت<sup>(93)</sup> رسلاً منهم فضل الله ولد شاووش العمراي، وملازم الخليفة جلال الدين ولد حسين الركابي وغيرهما بكتاب لعبد المحمود نور الدائم، وقد كانوا مدججين بالأسلحة النارية حسب إرشاد الخليفة وتوصيته بذلك. وكانت الوصية لهم أن يكونوا على حذر خوف الغدر بهم من جماعة الشيخ عبد المحمود نور الدائم، ولما بلغ كتاب الخليفة الشيخ عبد المحمود وقرأه، وكان مضمونه الحضور الفوري إلى أم درمان، تحرك لتوه دون أناة تظهر معارضته للخليفة عبد الله وتؤخذ عليه في محاسبته، وعندما وصل إلى الخليفة عبد الله، اشتاط الخليفة غضباً لما رآه عليه من الإجلال والفخامة، التي لا يريد أن ينازعه فيها أحداً مهما كانت مكانته الدينية. فأمر الخليفة بسجنه ريثما يصدر بشأنه حكماً، وأمر بإصلاح المشنقة واستعداد عمالها. وضرب ميعاداً لقتله دون أن يستجوبه أو يعرض على القضاء. فذهب النظارة رجالاً ونساءً في ذلك اليوم إلى السوق حيث نصبت المشنقة، واعتلى الناس ظهور البيوت لرؤية المشهد، حتى بكاه أتباعه وأهله من الطريقة السمانية. ولما كان الشنق لا يتم عادة إلا بحضور الخليفة عبد الله، والذي تأخر في ذلك اليوم إلى منتصف النهار، أُجِّل التنفيذ<sup>(94)</sup> وأعيد عبد المحمود إلى السجن لتحديد موعد آخر. وفي تلك الأثناء عقد

(3) عبد المحمود نور الدائم، الكؤوس المترعة، ص 44.

(1) عبد المحمود نور الدائم: المرجع السابق نفسه، ص 118.

(2) تقع قرية طابت غربي الحصاحيصا، وسميت بطابت لأنه مقر ذرية الشيخ أحمد الطيب البشير السماني، أي السلالة الطيبية.

(3) عبد المحمود نور الدائم، الكؤوس المترعة، ص 119.

ال خليفة مجلساً من كبار العلماء والأمرء والأفاضل وقال لهم "... إنما قد نوبت على شنق عبد محمود، فرأيت النبي (ص) والمهدي عليه السلام والشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، وذكروا لي براءته مما قيل في حقه من أمر المبايعة ومخالفتنا ..."<sup>(95)</sup> ثم أطلق سراحه بعد ذلك ومنحه بعض الهدايا.

يبدو أن الخليفة عبد الله أصلاً ما كان يريد قتل الشيخ عبد محمود. بل أراد أن يستوثق من صحة البيعة في حال احتشاد مؤيدي الطريقة السمانية ومريديها. وفي نفس الوقت أراد أن يظهر بمظهر القوة أمام أبناء الطريقة السمانية وغيرهم، ليعلن بذلك بداية عهد جديد إنتهت فيه معاملة أبناء نور الدائم كأبناء طريقة، وأن عهد التودد واللائنكسار قد إنتهى بوفاة المهدي. أما الرؤيا المناسبة التي أوردها الخليفة ، فقد أراد أن يثبت من خلالها لأبناء نور الدائم ولكل معارض. أن خلافته شرعية. ولولا ذلك ما اجتمع النبي (ص) والمهدي، والشيخ أحمد الطيب في رؤيا منامية واحدة. كما أراد أيضاً أن يثبت لمشايخ الطريقة السمانية المنكرين لانتسابه للطريقة ، أن اندراجه في الطريقة قد تم من أعلى مراحلها بواسطة مؤسس الطريقة نفسه. عندئذ يصبح اعترافهم بها ضمناً . وإلا فانهم يكونوا بعد ذلك قد استنكروا كرامات شيخهم وخوارقه ومثوله في الحضرات النبوية وهذا من ضرب المستحيل.

افلح الخليفة بهذه الطريقة في الحيلولة دون ظهور الطريقة السمانية على مسرح المعارضة علي أيامه . وبالتالي فقدت الأسرة الطيبية تلك المكانة المميزة التي يختصون بها أيام المهدي رغم معارضتهم له ، وأصبحوا في نظر الخليفة مجرد اشخاص عاديين يصلهم ما يصل الناس من الضيق والشدة . هذا وقد وصف الشيخ عبد محمود نور الدائم ذلك بقوله:

(... وما كان في عهد الخليفة عبد الله من اذية لنا فهو غني عن التفصيل...)<sup>(96)</sup>

استقر المقام بالشيخ عبد محمود في طابت بعد أن أفرج عنه الخليفة عبد الله مع إعلانه الصريح بالخصومه لذلك العهد ، واتهمه بمخالفة الاسلام في تقديم منشورات المهدي على آثار العلماء والصالحين واحتقارهم<sup>(97)</sup>.

الحقيقة ان الشيخ عبد محمود نور الدائم يمثل التيار المضاد للحركة المهديية ويصفها بأنها انتكاسة للتصوف الإسلامي في السودان وضعاف له . ولكنه لم يكن يرى في المقاومة حلاً جذرياً لتلك

(1) عبد محمود نور الدائم المرجع السابق ، ص 119 – 120.

( ) عبد محمود نور الدائم : أزاهير الرياض ، ص 306 .1

( ) عبد محمود نور الدائم : الكوؤس المترعة ، ص 44-45 .2



المعضلة ، بل كان في توجهه صوفياً تقليدياً يرى إصلاح الفساد من قبيل الصلاح الفردي . كما أنه لم يؤثر عنه تعاونه مع الجهات الرسمية التي حاربت المهديّة كالحكم التركي والإدارة البريطانية فيما بعد حتى وفاته في عام 1907م.

ويمكن القول ان المهدي استفاد من المد الروحي للطريقة السمانية، إذ ظهر من بين صفوفها ، وكان لذلك أثره الواضح في عدم تحمس زعمائها لمعارضته ، ولو شاء ان اتحدت كلمة زعماء الطريقة السمانية لمعارضة الدعوة المهديّة لتغيرت صفحات التاريخ المهدي . ولكن الخلافات الداخلية هي التي حالت دون ذلك ، فبينما ظل محمد شريف مستمراً في المعارضة انشغل معظم مشايخ الطريقة السمانية بالتوجه إلي مهمتهم الدينية كالشيخ عبد المحمود نور الدائم الذي ألف أكثر من ثمانين مؤلفاً في شتى المجالات والأمور الدينية مما ميز علاقة الطريقة السمانية بالدولة المهديّة بالمسالمة ، عموماً يمكن القول بان علاقة الطريقة السمانية بالدولة المهديّة علاقة عدو عاقل.

#### الخاتمة

الطريقة السمانية هي المعين الذي إغترف منه المهدي أفكاره ، فقد وجد في أسانيد ما يدعم فكرته ، وقد كان له ذلك. وبالرغم من الخلاف الذي طرأ بين المهدي وشيوخه لم يثن ذلك المهدي من أن يكن لهم الإحترام ، و لم يذكرهم إلا بالخير . بولاية الخليفة عبدالله التعايشي والذي لم يكن أصلاً من أتباع الطريقة السمانية لم يول شيوخ الطريقة السمانية من الإحترام ما كان المهدي يوليهم إياه، وذلك راجع لخوفه من منازعتهم له منصب الخلافة، بعد أن وصلته بعض الوشائيات التي تؤكد حدسه، و تقول بأن عبدالمحمود نور الدائم قد أخذ البيعة لنفسه بعد وفاة المهدي مباشرة ، فأولى الأمر غاية الإهتمام، و من هنا أخذ طابع العداوة يطغى على العلاقة بين الطريقة السمانية ودولة المهديّة ممثلة في شخص الخليفة عبدالله تجاه مشائخ الطرق الصوفية .

#### النتائج:

- 1- تعتبر السياسة التي إنتهجها الخليفة عبدالله تجاه مشائخ الطريقة السمانية من أهم العوامل التي جعلت الخليفة عبد الله يبني زعامته على العصبية القبلية لا الوازع الديني
- 2- تسبب عداة الخليفة عبدالله مع الطريقة السمانية في عداة السافر لبقيّة الطرق الصوفية الأخرى و العلماء السنيين .

#### التوصيات :



- 1- الطريقة السمانية من أكبر الطرق الصوفية في السودان ،ويعتبر مشايخها من أهم الذين وثقوا لطريقتهم في مؤلفاتهم المتعددة و المتنوعة في الحقب التاريخية المختلفة ،الأمر يحتاج الى باحثين لتوثيق هذا التراث .
- 2-كتب الشيخ عبد المحمود نورالدائم تحتاج الي دراسه لأن الكثيرين يجهلون باستتباط الحقائق التاريخية منها .
- 3-مخطوط الشمعي الذي كتبه الشيخ محمد شريف نور الدائم في آخر أيام الحكم التركي ، يحتاج لدراسة و تحليل وتحقيق بطريقه أشمل .
- 4-وثائق الشيخ محمد عظيم هي الأخرى تحتاج لمن يحققها .